بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 38 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:26\04\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

وصل الكلام إلى الآية الحادي عشر، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

الربط السياقي بين الآية وما تقدم عليها: في الآيات السابقة كان الحديث عن جماعة تلبسوا بعنوان الأبرار، وامتازوا بالإخلاص لله تبارك وتعالى والخوف من عذابه، فصار المقام مقام أن يُتسائل عن جزاء هؤلاء، بعد أن أعطينا للإنسان وبيّنّا له طريق الهداية، وانقسم الناس إلى جماعتين شكورة وكفورة، والجماعة الشكورة من أعلى مراتبها الأبرار، والأبرار يوفون بالنذر ويقومون بالطاعات إخلاصاً لربهم تبارك وتعالى، وابتعاداً عن عذابه وعقابه، فصار هذا المقام مقام أن نسأل وأن تتوجه النفس إلى جزاء هؤلاء.

فجاءت هذه الآية وما بعدها لتبين الثواب والجزاء الذي أعدّه الله تبارك وتعالى لهؤلاء ﴿فَوَقَاهُمُ﴾ خصوصاً مع حرف الفاء الذي هو من حروف الربط بتمام معانيه، فالفاء على كل تقدير حرف من حروف الربط بين الكلامين. فنتيجة أعمال هؤلاء ﴿فَوَقَاهُمُ﴾ ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ ﴿وَجَزَاهُم﴾ ثلاثة أمور في هذه الآية والآية التي بعدها.

فإذاً بين هذه الآية وبينما تقدم عليها كمال الانسجام والارتباط، وما زلنا نتكلم في المقطع ذاته، ولم ينفصل السياق بعد.

فإذاً هذه الآية وما بعدها في مقام مجازاة الله تبارك وتعالى لأفعال الأبرار ذكرت أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾.

معنى المفردات في هذا المقطع من الآية في غاية الوضوح، ولا يحتاج إلى مزيد بحث. ولكن يوجد إثارات يمكن أن توقف عندها:

الإثارة الأولى: أن الله تبارك وتعالى في هذه الآية قدّم الوقاية على غيرها، ﴿فَوَقاهُمُ﴾ ثم ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ ثم ﴿وَجَزاهُم﴾ فقدم الوقاية والاجتناب الذي -بتعبير دقيق فلسفي- فيه نوع من العدم والنفي والسلب، قدمه على ما فيه وجود وإثبات وإيجاب.

﴿فَوَقاهُمُ﴾ جنبهم ورفع عنهم ودفع عنهم، أما المجازاة أو ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ فيه نوع من الإعطاء ونوع من التقديم، فما هو السر في هذا التقديم؟

طبيعة البشر هي الاهتمام بعدم الوقوع في المفسدة أكثر من الاهتمام بجلب المنفعة، ولعله يشير إلى ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ﴾[1] نفس أنه تزحزح عن النار وتقع في ذلك الجانب، ووغير مهم ما يعطى لك في هذا الجانب، فنفس ذلك هو فوز. والبشارة به تكون أشد وقعاً في النفس من البشارة بالخيرات الأخرى. فلعل هذا هو السر في تقديم الوقاية غيرها.

الإثارة الثانية: الملاحظ في هذه الجملة أن الله سبحانه وتعالى أسند الوقاية إلى ذاته تبارك وتعالى ﴿فَوَقاهُمُ اللَّهُ﴾ مع أنه في سورة التحريم يأتينا قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ ناراً﴾ أسند الأمر بالوقاية إلى الإنسان، الذين آمنوا، فهذا موضع تسائل.

أنه مع هؤلاء الأبرار أسند الباري تبارك وتعالى الوقاية من شر ذلك اليوم إلى ذاته المقدسة، ومع سائر المؤمنين في آية أخرى هو فعل لكم، أنتم؛ لأن الأمر بالشيء فرع القدرة عليه، فلا يصح الأمر، أي تستطيعون أن تجنبوا أنفسكم شر ذلك اليوم.

يمكن الجواب عن هذه الإثارة، والتي هي في محلها، بالتفريق بين المنح العامة والمنح الخاصة، بلحاظ الذين آمنوا، فالذي يؤهلك للفرار من شر ذلك اليوم هو أمر تحت اختيارك وهو عملك، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾[2].

---

[1] آل عمران: 185
[2] العصر: 3

والوقاية للأهل بأن نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر؛ لأن هذه الآية في محله ذكر أنه عندما سمع عربي هذه الآية بكى، فجيء به إلى النبي الأعظم ﷺ، فقال: ما يبكيك؟ فقال: نحن كلفنا بأنفسنا، فكيف إذا كلفنا الباري بأهلنا، فقال له النبي الأعظم ﷺ: ليس إلى هذا تقصد الآية، يكفيك أن تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر[3].

فإذاً عامة الناس مكلفون بالوقاية، هو تكليف عام، وهذا ليس مجازاة، وليس ثواباً يعطى، كل إنسان في هذا الوجود مكلف أن يجتنب طريق الشر والمفسدة.

التخصيص بـ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا﴾ وجهه، أن المؤمنين هم الذين يستمعون إلى الخطاب أما غير المؤمن ﴿وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ وليس لأجل أن التكليف الشرعي يختص بالمؤمن.

أما هذه الآية المباركة التي نبحث عنها تبحث عن مجازات، ورد على عمل هؤلاء، فأنتم تعملون لكي لا تقعوا في المفاسد وفي شر ذلك اليوم، ويكون الجزاء من الله سبحانه وتعالى أن يحجب عنكم شر ذلك اليوم.

إذاً المخاطب والكلام مختلف، ففي آية التحريم الحديث عن تكليف شرعي، وفي هذه الآية التي نبحث عنها التكليف عن مجازاة، وفعل المجازات هو فعل الله سبحانه وتعالى.

مضافاً إلى أن هذه المجازاة نوع من التي تدخل في اللطف الإلهي المرتفع لجماعة خاصة، وإلا قد يقال: إذا الله سبحانه وتعالى وعد أن يعطي حين العمل وحين الاجتناب فهذا أمر قهري، بل هؤلاء في هذه المرتبة التي وصلوا إليها استحقوا عند الله سبحانه وتعالى أن يعطيهم أعلى مرتبة في المجازاة، فأسند هذا الفعل إليه تبارك وتعالى. والأمر سهل.

---

[3] مضمون الرواية.